

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِنَرْتُقَ بِذَوَاتِنَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَ ذَاتَ الْإِنْسَانِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الذَّوَاتِ، بِمَا أُوْدِعَ فِيهَا مِنْ بَدِيعِ الصَّنْعِ وَجَمِيلِ الصِّفَاتِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبُهُ، أَفْضَلُ الْخَلْقِ فِي ذَاتِهِ، وَأَقْوَمُهُمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ وَدَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ رِضَاهُ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مُتَمَيِّزًا بِنَوْعِهِ، خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُكْرَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وَمِنْ دَوَاعِي هَذَا التَّكْرِيمِ أَنْ يَتَوَلَّى الْإِنْسَانُ زِمَامَ الْإِعْمَارِ فِي الْأَرْضِ، يَنْعَمُ بِخَيْرَاتِهَا وَيَحْفَظُ نِظَامَهَا ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾^(٣)، وَلَنْ يَتِمَّ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقِيَامِ بِوَجِبِهِ هَذَا إِلَّا إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ بِنَاءِ ذَاتِهِ، وَاسْتَطَاعَ ضَبْطَ تَصَرُّفَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤). فَبِنَاءِ ذَاتِ الْإِنْسَانِ فَرِيضَةٌ شَرْعِيَّةٌ وَضُرُورَةٌ حَضَارِيَّةٌ، لِذَا عُنِيَ الْإِسْلَامُ

(١) سورة الأحزاب / ٧٠-٧١.

(٢) سورة ص / ٧١-٧٤.

(٣) سورة الملك / ١٥.

(٤) سورة العنكبوت: ٦٩.

بِهِ غَايَةَ الْعِنَايَةِ، وَشَمَلَهُ بِأَقْصَى دَرَجَاتِ الرَّعَايَةِ، كَيْفَ لَا؟ وَقَدْ اسْتَغْرَقَ بِنَاءَ الذَّاتِ وَصِيَاغَةَ الشَّخْصِيَّةِ سِنِينَ كَثِيرَةً مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَمَكَّنَ ﷺ - بِفَضْلِ اللَّهِ - مِنْ بِنَاءِ ذَوَاتِ أَصْحَابِهِ، وَصَقَلَ شَخْصِيَّاتِهِمْ، حَتَّى تَمَيَّزَ سُلُوكُهُمْ، فَصَارَ الصِّدْقُ شِعَارَهُمْ، وَالْوَفَاءُ نَابِعًا مِنْ ذَوَاتِهِمْ، فَاسْتَتَارَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ بِهِمْ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا لِتَرْبِيَةِ الذَّاتِ مِنْ أَهْمِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ.
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

مِنْ أَوْلَوِيَّاتِ بِنَاءِ ذَوَاتِنَا إِعَادَةُ النَّظَرِ فِي أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا، فَالْتَخَلِّي قَبْلَ التَّحَلِّي، وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو إِنْسَانٌ مِنْ خَطَأٍ أَوْ عَيْبٍ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ))، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَكْثِرْ مَا يَعِيبُ الْإِنْسَانَ عَدَمَ إِصْلَاحِ عُيُوبِهِ، وَعَدَمَ التَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِ، بِحَيْثُ يَبْقَى ذَلِكَ الْعَيْبُ فِيهِ خُلُقًا دَائِمًا وَوَصْفًا لَازِمًا، وَهَذَا مِنْ عَقَبَاتِ تَمِيمَةِ ذَاتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ؛ لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ عُيُوبِهِ الشَّخْصِيَّةِ، غَيْرَ أَنْ مِنَ الْعَوَائِقِ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ هُوَ عَدَمُ اعْتِرَافِ الْإِنْسَانِ بِوُجُودِ الْعَيْبِ فِيهِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ لَا يَعْمَلُ عَلَى إِزَالَتِهِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَفْعَلُ الشَّيْءَ السَّيِّئَ الْقَبِيحَ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ حَسَنٌ وَصَحِيحٌ، وَهُوَ لِأَنَّ هُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ بِالْخَبِيثَةِ وَالْخُسْرَانِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١)، وَيَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٢)، وَإِنَّ مِمَّا يُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ عُيُوبِهِ الذَّاتِيَّةِ مَعْرِفَتَهُ بِأَسْرَارِ طَبِيعَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ مَضَاءُ الْعَزِيمَةِ وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ؛ تَحَقَّقَ لَهُ مَا أَرَادَهُ.
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنَ الْعُيُوبِ الشَّخْصِيَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى عَدَمِ تَطْوِيرِ الذَّاتِ الْإِنطَوَائِيَّةِ وَالْإِنْعِزَالِيَّةِ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَنْطَوِي عَلَى نَفْسِهِ وَيَنْعَزِلُ عَنِ مُجْتَمَعِهِ، وَأَمثالُ هَؤُلَاءِ لَا يُفِيدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا

(١) سورة الكهف / ١٠٣-١٠٤ .

(٢) سورة فاطر / ٨ .

يَنْفَعُونَ غَيْرَهُمْ، وَمَرْجِعُ هَذَا الانْطِوَاءِ غَالِبًا الْخَجَلُ الْمَفْرُطُ؛ وَالتَّغْلِبُ عَلَيْهِ يُؤَدِّي النَّقَّةَ فِي
النَّفْسِ وَيَعَزِّزُ قُدْرَاتِهَا، كَذَلِكَ مِنَ الْعُيُوبِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا بَعْضُ النَّاسِ الْخَوْفُ مِمَّا يُخَبِّئُهُ
الْمُسْتَقْبَلُ، وَهَذَا الشُّعُورُ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِالتَّوَتُّرِ وَالْكَآبَةِ، وَلَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ
عَنِ التَّلَقُّ بِالتَّخْمِينَاتِ وَالْأَوْهَامِ، لِأَنَّهَا تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ، فَيُصَابُ بِالْجُمُودِ
وَيَغْرَقُ فِي التِّيِّهِ وَالشُّرُودِ، يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا
يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا»^(١)، إِنَّ الْعَيْشَ فِي حُدُودِ الْيَوْمِ مَعَ التَّخْطِيطِ لِلْغَدِ فِي حُدُودِ الطَّاقَةِ يَجْعَلُ
الْإِنْسَانَ سَعِيدَ الْحَالِ، مُسْتَرِيحَ الْبَالِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَنْ بَاتَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى
فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِيهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَنْجَحَ عِلَاجٍ يُحَقِّقُ لِلْإِنْسَانِ إِصْلَاحَ عُيُوبِهِ الذَّاتِيَّةِ
وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ هُوَ اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَاءِ أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ عُيُوبَهُ، وَيَغْفِرَ لَهُ
ذُنُوبَهُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ
يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَمَالِ فَضْلِهِ، وَشُمُولِ نِعَمِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى تَمْمِيَةِ الذَّاتِ، وَالتَّسَابُقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، ﷺ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

أَمَّا وَقَدْ أَدْرَكْنَا كَيْفِيَّةَ التَّخْلُصِ مِنَ الْعُيُوبِ الدَّاعِيَةِ إِلَى عَدَمِ تَطْوِيرِ الذَّاتِ، تَرَى كَيْفَ
يَبْدَأُ بِنَاوُهَا؟ وَمَا هُوَ التَّصَوُّرُ الصَّحِيحُ لِدَلِكُمُ الْبِنَاءِ؟ إِنَّ بِنَاءَ الذَّاتِ يَبْدَأُ مَعْرِفِيًا بِغَرْسِ
الْأَفْكَارِ السَّلِيمَةِ مِنْ خِلَالِ الْقِرَاءَةِ وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا حَوْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ، فَالْقِرَاءَةُ

خُطوةٌ أساسيةٌ في برنامجِ بناءِ الذاتِ، ولأهميتها جاعتُ فاتحةٌ لأوّلِ آيةٍ نزلتُ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١)، ومِمّا يُساعدُ على إتمامِ البناءِ المعرفيِّ للذاتِ التفكيرُ والتأمُّلُ فيما يخدمُ صالحَ الإنسانيةِ، والاستماعُ إلى الحسنِ النافعِ ممّا يقولُهُ الغيرُ، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وإلى جانبِ البناءِ المعرفيِّ للذاتِ فإنه لا بُدَّ من البناءِ الروحيِّ والسلوكيِّ، ولذلك شرّعتُ العباداتُ المختلفةُ، لتكونَ رافدًا لبناءِ جوانبِ الذاتِ المتعدّدةِ، وصياغتها فكريًا وروحيًا ووجدانيًا وسلوكيًا، فالصلاةُ عبادةٌ تهذبُ الروحَ، وتوحّدُ الصُّفوفَ، وتثمرُ الضبطَ والإرادةَ، وكالصلاةُ نجدُ الزكّاةَ، فإنّها تصوغُ الفكرَ الاجتماعيَّ في الذاتِ المسلمةِ أفضلَ صياغةٍ، لتجعلَ منها ذاتًا تتحلّى بالعطفِ والإيثارِ، وتعشقُ الطهرَ والنقاءَ، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣)، وهكذا سائرُ العباداتِ؛ فهي تحرّروا المسلمَ من المخاوفِ وقُيودِ الأنانيةِ وأثقالِ التردّدِ، ثمّ تبثُّ فيه الثقةَ بقدرتهِ، وتحركُ روحَ المسؤوليةِ في داخله، ليُعطيَ انعكاسًا حقيقيًا للإنسانِ السويِّ، فتتحقّقُ بهذا التناغمُ أروعُ الإنجازاتِ.

فاتقوا الله - عباد الله -، واحرصوا على بناءِ ذواتكم، فالإسلامُ ينظرُ إليكم على أنكم مواطنٌ قدراتٍ وطاقتٍ، ومحلُّ ثقةٍ وأمانةٍ، وأنكم أهلٌ لتحملِ الأعباءِ والمسؤولياتِ، فكونوا على قدرها.

هذا وصلّوا وسلّموا على إمامِ المرسلينَ، وقائدِ الغرِّ المحجلينَ، فقد أمركم اللهُ تعالى بالصلاةِ والسلامِ عليه في مُحكمِ كتابه حيثُ قال عزّ قائلًا عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤).

(١) سورة العلق / ١-٥ .

(٢) سورة الرمز / ١٨ .

(٣) سورة التوبة / ١٠٣ .

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

